السعي الى التكامل الانساني واصلاح الامة في فلسفة زيارة الاربعين

أ. م. د. أحمد بهاء عبد الرزاق
كلية التربية للبنات-جامعة الكوفة

م. م. فاطمة حسين العبيدي
كلية التربية-جامعة الإمام جعفر الصادق عليه السلام

الملخص

ان ثورة الامام الحسين عليه السلام هي ثورة تغييرية لأنها انطلقت من اجل تغيير الانسان في مفاهيمه وفقاً لتعاليم الاسلام واهدافه، وهذا ما دعا الامام الحسين عليه السلام الى ان يقوم خطيباً من مراحل رحلته الى كربلاء وهو يواجه الجيوش التي جاءت لمقاتلته ليحذرهم ويرشدهم لتغيير مفاهيمهم منطلقاً من كلام الامام علي عليه السلام: (لا تكن عبد غيرك وقد خلقك الله حراً)، من اجل تصحيح المفاهيم التي انحرفت في اذهان الناس، والتي انحرف الواقع من خلالها، باعتبار قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾.

لا يمكن ربط زيارة اربعينية الإمام الحُسَين عليه السلام بسياقاتها التاريخية حصراً، مثلما لا يمكن فك ارتباطها عن ذلك التاريخ، فهي الثورة الإصلاحية الحية التي تفجرت لتصحح مسار الانحراف في الأمة الإسلامية، ومنهلا للعطاء الانساني، ورافدا حياً وحقيقياً للدروس والموعظة والعبر، واستمر صداها يتخطى القرون عابراً الآفاق نحو المستقبل.

كما لا يمكن ربطها بالإسلام حصراً، مثلما لا يمكن فك ارتباطها عنه وهي جاءت حاملة لمبادئه، باذلة التضحيات في سبيله. فهي ثورة إنسانية لكل أبناء البشرية، منبثقة عن الإسلام الذي هو دين الإنسانية المنزل من رب العالمين جميعاً، وإليهم جميعاً، في كل زمان ومكان.

إن تاريخية زيارة الإمام الحُسَين عليه السلام في الاربعين لا تعني ارتباطها بالماضي حصراً، وإن كانت قد حدثت فيه فعلاً ضمن مفهومنا المعاصر، بل إن تاريخيتها تعني أزلية استمرارها. كما هي أزلية وجود الظلم والفساد، وأزلية تحقيق الإصلاح. مثلما أن ثوريتها تعني ضرورة وحتمية السعي نحو الإصلاح والتكامل الانساني حتى وإن بلغت التضحيات ذروتها.

للشريعة المحمدية المقدسة غايات وأهداف جليلة في مقدمتها السير ببني آدم إلى الكمال الإنساني والسعي الحثيث لإصلاح الامة التي غلبها الظلم ومظاهر الاضطهاد وقد أوجدت لذلك سبل بينتها وطرائق أوضحتها منها التمسك بالثقلين الكتاب العزيز والعترة الهادية صلوات الله عليها كما نص على ذلك حديث الثقلين المتواتر ومنها كذلك ما ورد في الزيارات الشريفة إن الأئمة المعصومين سلام الله عليهم أبواب الله تعالى التي منها يؤتى، وإنهم سفن النجاة فمن اقتفى أثرهم واتبع نهجهم وتمسك بهم أمن من الغرق والهلاك ووصل إلى بر الأمان حيث السعادة الأبدية والرضا الإلهي.

The Pursuit for Human Integrity and Reforming The Nation in The Philosophy of The Arbaeen Pilgrimage

Prof. Ahmed Baha'a Abdul-Razzaq
College of Education / Kufa University

Lecturer. Fatima Hussein Al-Obeidi
College of Education / Imam Jaffar Al-Sadiq University

Abstract

The revolution of Imam Hussein is a revolutionary uprising because it was launched to change the concepts of the human being according to the teachings and objectives of Islam, which is what drove Imam Hussein "pbuh" to be a preacher through the stages of his journey to Karbala facing the armies that came to fight him while he was warning and guiding them to change their concepts based on the words of Imam Ali "pbuh" like "Do not be a slave when Allah has created you free", in order to correct the wrong concepts in the minds of people according to the Koranic phrase "Allah Almighty does not change the condition of a people until they change what is in themselves."

The Imam Hussein's Arbaeen pilgrimage cannot be linked to its historical contexts only, just as it cannot be disassociated from that history, for it the reform revolution that broke out to correct the path of deviation in the Islamic Ummah, and the source for humanitarian giving, as well as its effect as a real and living guide for lessons and exhortations that passes the horizons towards the future.

The Arbaeen pilgrimage cannot also be linked exclusively to Islam, just as it cannot be disassociated from it as it came with its purest principles, and sacrificed everything in its path. It is a humanitarian revolution for all human kind, emanating from Islam that is the religion of humanity from Allah Almighty to them all, in every time and place.

The historic form of Imam Hussein's Arbaeen pilgrimage does not mean its association with the past exclusively, even thourg it has occurred within it according to our contemporary concept, but its historic form means its eternity of continuity, just like the eternity existence of injustice and corruption in the world, and the eternity of pursuit for reformation and human integration even if it came with maximum sacrifices.

The Islamic commandments delivered by prophet Muhammad, has great goals and objectives, foremost of which are the quest to take human kind into perfection and to reform the nation that has been overcome by injustice and oppression, which I created ways to explain these purposes through the adherence to two supreme beacons: The holy Quran and Ahl al-Bayt "peace be upon them" as they are the gates to Allah, and the lifeboats that save whoever board them.

المقدمة

ان ثورة الامام الحسين(عليه السلام) هي ثورة تغييرية لأنها انطلقت من أجل تغيير الانسان في مفاهيمه وفقاً لتعاليم الإسلام وأهدافه، وهذا الذي دعا الامام الحسين(عليه السلام) الى أن يقوم خطيباً في مرحلة من مراحل رحلته الى كربلاء وهو يواجه الجيوش التي جاءت لمقاتلته ليحذرهم وليعظم ويرشدهم لأن المسألة أنه كان يريد أن يغير مفاهيمهم، ومفهوم الحرية الذي انطلق من كلام الامام علي(عليه السلام): ((لا تكن عبد غيرك وقد خلقك الله حراً))، فانطلق به الامام(عليه السلام) من أجل تصحيح المفاهيم التي انحرفت في أذهان الناس، والتي انحرف الواقع من خلالها، باعتبار قوله تعالى: ﴿إِنَّ الله لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ الرعد: ١١.

لا يمكن ربط زيارة أربعينية الإمام الحُسَين(عليه السلام) بسياقاتها التاريخية حصراً، مثلما لا يمكن فك ارتباطها عن ذلك التاريخ، فهي الثورة الإصلاحية الحية التي تفجرت لتصحح مسار الإنحراف في الأمة الإسلامية، وغدت منهلاً للعطاء الانساني، ورافداً حياً وحقيقياً للدروس والموعظة والعبر، واستمر صداها يتخطى القرون عابراً الآفاق نحو المستقبل.

كما لا يمكن ربطها بالإسلام حصراً، مثلما لا يمكن فك ارتباطها عنه وهي جاءت حاملة لمبادئه، باذلة التضحيات في سبيله، فهي ثورة إنسانية لكل أبناء البشرية، منبثقة عن الإسلام الذي هو دين الإنسانية المنزل من رب العالمين جميعاً، وإليهم جميعاً، في كل زمان ومكان.

إن تاريخية زيارة الإمام الحُسَين(عليه السلام) في الأربعين لا تعني ارتباطها بالماضي حصراً، وإن كانت قد حدثت فيه فعلاً ضمن مفهومنا المعاصر، بل إن تاريخيتها تعني أزلية استمرارها. كما هي أزلية وجود الظلم والفساد، وأزلية تحقيق الإصلاح. مثلما أن ثوريتها تعني ضرورة وحتمية السعي نحو الإصلاح والتكامل الانساني حتى وإن بلغت التضحيات ذروتها.

إن للشريعة المحمدية المقدسة غايات وأهدافاً جليلة في مقدمتها السير ببني آدم إلى الكمال الإنساني والسعي الحثيث لإصلاح الامة التي غلبها الظلم ومظاهر الاضطهاد، وقد أوجدت لذلك سبل بينتها وطرائق أوضحتها منها التمسك بالثقلين الكتاب العزيز والعترة الهادية صلوات الله عليها كما نص على ذلك حديث الثقلين المتواتر، ومنها كذلك ما ورد في الزيارات الشريفة إن الأئمة المعصومين(عليهم السلام) أبواب الله تعالى التي منها يؤتى، وإنهم سلام الله عليهم سفن النجاة فمن اقتفى أثرهم واتبع نهجهم وتمسك بهم أمن من الغرق والهلاك ووصل إلى بر الأمان حيث السعادة الأبدية والرضا الإلهي.

ان الإمام الحسين(عليه السلام) سفينة النجاة العظيمة والسريعة وفق الأحاديث الشريفة بل هو سلام الله عليه سفينة الكمال.

ان الشريعة المقدسة طالما بعثت المسلمين إلى التكامل المعنوي عبر الماديات وتحمل الصعوبات والمشاق وكأفضل مثال لذلك السفر لحج بيت الله الحرام كفرض واجب على كل مستطيع واستحباب

الحج لمن حج سابقاً، وجعلت لذلك الثواب العظيم وذات الأمر نجده في زيارات مراقد المعصومين سلام الله عليهم ابتداء برسول الله ﷺ حتى الإمام الهادي والعسكري عليهما السلام، لكننا نجد عند استقراء الروايات الشريفة أن لزيارة سيد الشهداء تميُزاً خاصاً وثواباً فاق الجميع بل فيها إشارة إلى التكامل الإنساني موضع البحث.

والجدير بالذكر ان زيارة سيد الشهداء عليه السلام في الاربعين – وهي بهذا الثواب العظيم – لابد لها من تكامل أولي واستعداد ذاتي حتى يوفق الشخص لزيارته، فنلاحظ ان الرواية الشريفة هدفت الى جمع المؤمنين على حب الحسين عليه السلام.

وخلاصة الأمر إنَّ من كان في كربلاء المقدسة الظرف المكاني وفي يوم الأربعين الظرف الزماني فقد جمع عاملي التكامل المنشود شرط الاستعداد المسبق للتكامل لاسيما حب الله ورسوله وأهل بيته وكذا أن يكون عارفاً بحقهم أي الجانب العلمي، فمَنْ يكون له ذلك يكون قاب قوسين من التكامل المقصود.

أولاً: العقل الاصلاحي للثورة الحسينية وأثره في التكامل الانساني:

لقد جعل الله سبحانه وتعالى العقل الأساس فيما يمكن أن يدركه من قاعدة القضايا ومن تفاصيلها، فقد روي عن الامام محمد الباقر عليه السلام: ((ان الله خلق العقل فقال له أقبل فأقبل، ثم قال له أدبر فأدبر، ثم قال وعزتي وجلالي ما خلقتُ خلقاً هو أحب إليَّ منك، ولا أكملك إلا فيمن أحب، أما إني إياك آمر، وإياك أنهى، وإياك أثيب))[1].

فالعقل يمثل الطاقة الفطرية الروحية التي تنفتح على كل القضايا في منطق الفطرة بحيث إن الانسان عندما ينفتح على القضايا بفطرته فإنه يصل اليها، وبذلك يلتقي بالحقيقة في موقع اليقين وهذا هو الحجة لله على خلقه[2]، وهناك حركة للعقل في موقع آخر وهو من خلال الثقافة، ومن الطبيعي إن هذا العقل التجريبي الثقافي يترك مساحة بين اليقين والظن، لأن الوسائل التي يحصل عليها لا تصل به الى الحقيقة فلا يبقى هناك سؤال يفرض نفسه على العقل[3].

وانطلاقاً من هذه الأهمية فإن العقل كما يذكره الامام الصادق عليه السلام: ((حجة الله على العباد النبي، والحجة فيما بين العباد وبين الله العقل))[4]، فهو الحجة التي تدرك بها وجود الله تعالى ورسالة رسوله ﷺ، والكثير من حقائق الحياة من خلال الفطرة العقلية الصافية التي تنفتح على الحقيقة من أقرب الطرق، والحجة التفصيلية فيما بين الله وبين العباد وهو النبي ﷺ لأنه يبلغهم ما لا يملك العقل معرفته والخوض فيه من تفاصيل التشريع وما الى ذلك مما لا يرفضه العقل في ذاته ومما يدعو العقل للالتزام به من خلال ما يدركه من وجود الله ورسالة الرسول ﷺ[5].

ودون شك فثمة علاقة وثيقة بين العقل والاصلاح عند الامام الحسين عليه السلام، فهو عندما انطلق من أجل تغيير الواقع على اساس استقامة الخط، لأن الواقع انحرف فأراد الامام عليه السلام ان يرسم معاملة للامة الاسلامية، حيث قال: ((أيها الناس ان رسول الله ﷺ قال من رأى سلطاناً جائراً مستحلاً

لحرم الله ناكثاً لعهد الله يعمل في عباد الله بالاثم والعدوان، ثم لم يغير بقبول ولا فعل كان حقيقاً على ان يدخله مدخله))[٦]، فالذي يحكم بإسم الاسلام لا يمكن ان يكون ظالماً للناس: «ان الله يأمر بالعدل والاحسان»[٧]، ولا يمكن ان يكون ناكثاً بعهده لأن الله يقول: «وأوفوا بعهد الله اذا عاهدتم ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها»[٨]، ولا يمكن ان يخالف سنة رسول اللهﷺ لأن الله يقول: «وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا»[٩]، ولا يمكن ان يعمل في عباد الله بالاثم والعدوان لأن الله يرفض الظلم لعباده، ولذلك كان رسول اللهﷺ يقول حاولوا ان تغيروا الحاكم الذي يتصف بهذه الصفات لأنه سوف يهدم قواعد الاسلام في حكمه ذلك ان مثل هذه العناوين التي تتمثل في الحكم تقف في الضد من عناوين الاسلام الحقيقية[١٠].

ويوجه الامامؑ الانظار الى الواقع في تلك الفترة لإحداث عملية مقارنة بين الخط والواقع: ((ألا إن هؤلاء القوم قد لزموا طاعة الشيطان وتركوا طاعة الرحمن، وأظهروا الفساد وعطلوا الحدود واستأثروا بالفيء وأحلوا حرام الله، وحرموا حلاله))[١١]، فالامامؑ هو من يحمل الاسلام عقلاً وقلباً وحركة ومنهجاً انفتح به على قضايا الانسان مما يريد الله له ان يتحرك فيه من أجل عملية تغيير شاملة للواقع الراهن.

إذن فالامور تفرض التحرك الذي قال عنه الامامؑ: ((لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً وانما خرجت لطلب الاصلاح في أمة جدي أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر))[١٢]، وهذا يعني أن الحسينؑ يحدد نوعية هذا التحرك على شكلين: الأول أن تكون منطلقة من مواقع ذاتية ومن خلال طموح ذاتي، أو أن تنطلق لتؤكد الظلم في مواجهة العدل، وتركز الفساد في مواجهة الاصلاح، وهذه حركة يرفضها الامامؑ لأنها غير شرعية، ولذلك أراد ان يضع في عنوان حركته انها ليست لظلم القيادة او الشعب وليست لإفساد الواقع بخلق الفرقة والتمزق في مواقع الحق، ولا هي ذاتية تنطلق من حالة طمع وطموح يريد ان يرضي الذات على حساب الرسالة [١٣].

ثم أكد نوعية حركته فمن خلال عنوان ((الاصلاح في أمة جدي)) يوحي بأن قضية أنْ يعيش المجتمع الاسلامي الفساد في كل مجالاته تفرض أن تكون هناك حركة من أجل الاصلاح، ولذلك تحرك على أساس هذا الواجب الشرعي في أنه إذا كان هناك فساد في الواقع فلا بد أن تنشأ حركة في مواجهة هذا الفساد، وان لا نعيش التخدير للواقع ولا التجميد لحركتنا وطاقتنا، وان يشعر كل من يعيش في المجتمع لا سيما قياداته الشرعية حركة تغيير هذا الواقع من الفساد الى الاصلاح[١٤].

فالفساد يمكن ان يؤدي الى تقويض الدين ومحو معالمه: ((فإن السُّنَّة قد اميتت، وان البدعة قد احييت))[١٥]، فالحسينؑ هو شاهد على عصره بمقتضى الآية الكريمة التي يكون فيها أظهر أفرادها: «وكذلك جعلناكم أمةً وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً»[١٦]، وذلك لأن قوام الاسلام يعتمد على اقتفاء الرسولﷺ، والعمل بما جاء به قوله تعالى: «وما آتاكم الرسول

فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا»[١٧]، وقال أيضاً «لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة»[١٨].

فانتشار البدع وتعطيل السُّنَّة كما في الحديث: ((ما أحد ابتدع بدعة إلا ترك بها سُنة))[١٩] تؤدي كما قال عنها أمير المؤمنين عليه السلام: ((إنما بدء وقوع الفتن أهواء تتبع، وأحكام تُبتدع، يخالف فيها كتاب الله، يتولى فيها رجال رجالاً، فلو أن الباطل خلص لم يخف على ذي حجة، ولو أنَّ الحق خلص لم يكن اختلاف، ولكن يؤخذ من هذا ضغث، ومن هذا ضغث، فيمزجان فيجيئان معاً، فهنالك استحوذ الشيطان على أوليائه، ونجا الذين سبقت لهم من الله الحسنى))[٢٠].

وحينما تصل حالة الابتداع والخروج عن الدين حداً يمكن أن يعطل السنن الشرعية التي قام الاسلام من أجل ارسائها وترسيخها في المجتمع، فإن المسلم يكون من واجبه الشرعي مواجهة تلك البدع والقضاء عليها، فهذا رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: ((إذا ظهرت البدع في امتي، فليظهر العالم علمه، فمن لم يفعل، فعليه لعنة الله))[٢١]، ذلك لأن حفظ الدين وحمايته من أهم الواجبات الشرعية انطلاقاً من مبدأ المسؤولية العامة الذي يشير اليه الحديث الشريف: ((كلكم راعٍ، وكلكم مسؤول عن رعيته))[٢٢]، ولهذا فإن مدى الانحراف الذي آلت اليه الامور بعد تولي يزيد بن معاوية للحكم كان كبيراً لأن صفاته وسلوكياته المستهترة سلبت منه أدنى صفات الصلاح التي يمكنه من خلالها قيادة الامة، فهو رجل فاسق، فاجر، شارب للخمر، قاتل للنفس المحترمة[٢٣]، إذن السماح لشخص يحمل هذه الصفات يعني بالضرورة القضاء على الاسلام، وهو ما أعلنه الامام الحسين عليه السلام صراحةً بقوله: ((على الاسلام السلام إذا ابتليت الامة براعٍ مثل يزيد))[٢٤].

وبلا ريب فإنّ سكوت الحسين عليه السلام ومبايعته ليزيد سيعتبر مساهمة منه في هدم الاسلام، لأن الرسول صلى الله عليه وآله يقول: ((من أتى ذا بدعة فعظَّمه، فإنما يسعى في هدم الاسلام))[٢٥]، ومثل هذا لا يكون من الامام عليه السلام لأنه سبط الرسول صلى الله عليه وآله المؤسس، وابن الامام علي عليه السلام الباني والمشيّد لهذا الكيان الشامخ، فمن المستحيل أن يقبل الامام عليه السلام ضياع الاسلام والشعائر الالهية، لذلك أقدم عليه السلام على حركته بمقاومة يزيد وهو القائل: ((إني لا ارى الموت الا سعادة، والحياة مع الظالمين إلا برماً))[٢٦].

كان واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أهم مقومات ثورة الامام عليه السلام، ويُعدُّ من أهم الفرائض الاسلامية بل بتعبير الحديث الشريف: ((أسمى الفرائض))[٢٧]، بعد أن سلب الامويون الناسَ حريتهم وعطلوا الامر بالمعروف والنهي عن المنكر، فلم يعد أحد يستطيع ابداء رأيه فيما يخص صلاح المجتمع وأوضاعه، فعندما طلب معاوية بن أبي سفيان من (الأحنف بن قيس) أن يبدي رأيه بشأن ولاية عهد يزيد قال جملة معبرة: ((نخافكم إن صدقنا، ونخاف الله إن كذبنا))[٢٨]، ولهذا انطلق الامام عليه السلام لبناء الحياة الكريمة في الاسلام بعد ان انهارت دعائمها أيام الحكم الاموي، فقد أصبح المعروف في عهدهم منكراً والمنكر معروفاً، ومما

قالهعليه السلام في هذا المجال أمام أصحابه وأهل بيته يوم الطف: ((الا ترون الى الحق لا يعمل به، والى الباطل لا يتناهى عنه، ليرغب المؤمن في لقاء ربه))[٢٩].

ولم يكن الامامعليه السلام يطمع بالنصر او الاستيلاء على مقاليد الحكم والسلطة والنفوذ، بل أراد من خروجه الحفاظ على معالم الدين الاسلامي وإصلاح المجتمع ونصرة المظلوم بقوله: ((اللهم انك تعلم انه لم يكن ما كان منا تنافساً في سلطان ولا التماساً من فضول الحطام ولكن لنرد المعالم من دينك ونظهر الاصلاح في بلادك ويأمن المظلومون من عبادك ويعمل بفرائضك وسننك واحكامك، فإن لم تنصرونا وتنصفونا قوي الظلمة عليكم وعملوا على اطفاء نور نبيكم، وحسبنا الله وعليه توكلنا، واليه أنبنا واليه المصير))[٣٠].

اذن إنه ع قام بمسؤولية صيانة رسالة الامة التي اوجدها وخلفها النبيصلى الله عليه وآله[٣١]، اضافة الى قيامه بتحمل أعباء إصلاح المجتمع من خلال الهداية والرعاية للبشر دينياً ومعنوياً وانسانياً واخروياً بمقتله وشهادته، فكان النبراس الافضل الذي يضيء للاجيال طريقهم باستمرار[٣٢].

كان الامام الحسينعليه السلام وبقية أهل البيتعليهم السلام هم اول من فهم حقائق الاسلام ونطق بها وكانوا الأقدر على تجسيد هذه المفاهيم وتحويلها الى واقع وانموذج في وقت كثر فيه المتكلمون وقل فيه الفاعلون: ((إن الثورة الكربلائية لم تكن تهدف الى تغيير الجوانب المادية فقط، بل تغيير البنيان الفكري والاجتماعي والسياسي والاقتصادي بأسره، وإذا كان الكثير من المسلمين قد قتلوا في الحروب والفتن التي جرت في البلدان الاسلامية فإن ذلك لم يؤثر في المسلمين مثلما أثرت شهادة الحسين))[٣٣].

استهدفت ثورة الامام الحسينعليه السلام القضايا المصيرية لجميع الشعوب، فلم ينشد في ثورته الخالدة أي مطمع سياسي او نفع مادي، وانما استهدف المصلحة الاجتماعية واهتم بأمر الناس جميعاً ليوفر لهم العدل السياسي والاجتماعي، لذلك خلدت قصته واخذ الناس يقيمون له الذكرى مقتبسين منها الايمان بالله والعبر والعظات التي تنفعهم في ميادين حياتهم جميعها[٣٤].

جسدت ثورة الإمام الحسينعليه السلام قيم ومبادئ وحقوق الأمة ومنها الإصلاح، حيث أكد فيها على ضرورة الاهتمام بإصلاح شؤون الأمة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والدينية من خلال توعية الأمة بمواصفات الحاكم العادل القائم بالعدل الذي يسوس الناس بالقرآن والسنة ويحترم آراءهم ومعتقداتهم ويؤمن بالشورى في الحكم وتولي الحكم من هو أهلٌ لها، وعدم المساومة على الحق، والالتزام بالاتفاقيات والعهود، ودعم سيادة القانون، وجعلها مقياساً لقيمة الحاكم ومشروعية حكمه وهذا ما أرادهعليه السلام بقوله: ((ولعمري ما الإمام إلا الحاكم بالكتاب، القائم بالقسط، الداين بدين الحق، الحابس نفسه على ذات الله))[٣٥].

كما تضمنت معالم تلك النهضة تمتين أواصر الثقة بالمعتقدات من خلال طرح الصحيح منها إلى الأمة، والتأكيد على وحدة الأمة ومنع إثارة التفرقة والعنصرية والطائفية والقبلية والقومية كأساس

للتمييز بين الناس[٣٦]، وقد وضع الامام عليه السلام شروط الكفاءة والاستقامة في تولي شؤون الأمة وتسيير مهام الحكم والسياسة فيها، فضلاً عن ممارسة حق النقد والبيعة والنصح والتوجيه ومناقشة سياسة الحاكم، وهذا ما أكده الحسين عليه السلام عندما قال: ((إنا أهل بيت النبوة، ومعدن العلم، ومختلف الملائكة، بنا فتح الله وبنا يختم، ويزيد رجل فاسق، شارب الخمر، قاتل النفس المحرمة، معلن بالفسق، ومثلي لا يبايع مثله))[٣٧].

واستطاع الإمام الحسين عليه السلام أن يوقظ الضمير الإنساني ويؤثر فيه باتجاه القيم الحقة، والانتصار لها، وتحقيقها على أرض الواقع، كونها لم تحدّد بدين أو مذهب أو قومية معيّنة، بل كانت للإنسانية جمعاء[٣٨].

وقد اكد الإمام عليه السلام على أهمية طريق الحرية وعدم الانسياق وراء الحاكم الظالم مهما كانت الاسباب، وعدم العيش كالعبيد، بل دعا عليه السلام الى ان يكون الناس احراراً في دنياهم، وقد انطلق بأهدافه هذه معلناً الحرب على الظلمة بقوله ((ألا وإني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً، وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي رسول الله، أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر))[٣٩]، مذكراً بان دعواته الإصلاحية هي ليست للتنافس على الخلافة وإنما لإيجاد أرضية لعمل الحق مقابل الباطل جاهراً قوله «اللهم إنك تعلم إنه لم يكن ما كان منا تنافساً في سلطان، ولا التماساً من فضول الحطام، ولكن لنرى المعالم من دينك، ونظهر الإصلاح في بلادك، ويأمن المظلومون من عبادك، ويعمل بفرائضك وسنتك وأحكامك»، من هنا فإن ثورته عليه السلام جاءت من أجل حرية الناس وصيانة كرامتهم الإنسانية، ورفض الذلة التي اتبعها الطغاة من الأمويين وأتباعهم في تعاملهم مع الناس[٤٠].

فقد دأب بنو أمية منذ توليهم زمام السلطة السياسية في الأمة الإسلامية على انتهاك كل ما هو مقدس بموازين الشرع الإسلامي واستهانوا بالقيم الإنسانية قبل الإسلامية، وكان حكمهم من أسوء أنظمة الحكم في كل الجوانب السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والدينية، فها هو الحاكم الأموي يزيد بن معاوية يمسك زمام السلطة بعد أبيه ليذيق الأمة خلال ثلاث سنوات الويلات ويأمر بقتل جميع من يعارض حكمه وسلطانه وفي مقدمتهم الإمام الحسين وسبي عياله وتعمد الإساءة له ولأهل بيته، لذا جاءت ثورة الإمام الحسين عليه السلام للإصلاح السياسي والاقتصادي والسياسي والاجتماعي والديني في الدولة الإسلامية[٤١].

وينبغي على المنصف أن يفرق بين الإسلام وتطبيقه السليم على يد المعصوم خليفة السماء في الأرض، والانحراف الذي حصل بعد تولي بني أمية السلطة، وما رافق ذلك من عدوان على الحقوق والحريات تحت راية من يدَّعي زورا الإسلام، ولا يلومن أحد إلا نفسه بعد العاشر من المحرم سنة ٦١هـ لتقصيره في الوقوف جنب الحق وجنب آل الرسول الذين أرادوا للأمة ان تنهض من غفوتها وتثور على الحكم الاستبدادي المغتصب المتمثل بيزيد ومن سار في فلكه إلى قيام الساعة، فقد حاول الإمام الحسين استنهاض

الأمة من سباتها إلا انه اصطدم بالغدر والمكر وإنكار أبسط الحقوق الإسلامية بل أنه واجه يوم العاشر من المحرم عدواً لا يمت للإنسانية بصلة[٤٢].

وقد شحنت كربلاء إرادة الامة بالعزيمة الراسخة بما بلورت من الاحاسيس الخيرة في الانسان، ذلك لأن لهذا الانسان مخزوناً كبيراً من العقل والارادة والعاطفة، وهو غالباً ما يرحل عن هذه الدنيا قبل ان يستفيد من هذا المخزون الضخم[٤٣].

ان من اهداف رسالات السماء ومصلحي البشر إثارة دفائن العقول وشحذ وتحريك الارادة والعاطفة، واستخراجها من باطن الانسان الى واقعه، وهذا ما فعلته ملحمة كربلاء بالضبط، فقد كانت هي الطليعة والقدوة لجهد الانسان في تفجير مخزونه الارادي والعقلي والعاطفي[٤٤].

فالحسين عليه السلام إمام والإمام حكيم والحسين عليه السلام تلميذ النبوة، فهو ذو دراية واسعة، إمام محنك مسدد خطّط وحلّل الامور، وأدرك الربح والخسارة، وسجل الخطوط الاولى في ذهنيته، واعطاها للدنيا لتقرأ هذه الصحائف الحمراء عنوانها هؤلاء بنو أمية الذين أباحوا المحرمات[٤٥].

ان الامام الحسين عليه السلام إمام حلل خصومه ومقاتليه تحليلاً صعباً، وكشفهم وعرّف الاجيال طباعهم، نحن لا نقول: ان الامام الحسين عليه السلام أطاح بالدولة الاموية وهدم عروشها وأراح الامة منها ومن جبروتها، وانما نقول: ان الامام الحسين عليه السلام الانطلاقة الاولى والتجربة الاولى للكفاح والاصلاح والنهضة لهذه الامة، فقد وضع الامة في مسار ثوري، وأشار لها لتسلك ذلك الطريق الذي يوصلها الى الوجود الدائم فهو النذير الذي أنذر الحكام الامويين، واعطى للامة جرعة الى الطريق السوي إن هي أرادت أن تبقى امة ويكتب لها النجاح في دنيا الامم[٤٦].

ثانياً: زيارة الاربعين وتجسيد القيم الاسلامية والانسانية:

إن ما قدمه الامام الحسين عليه السلام في معارضة حكم يزيد بعد موت معاوية لعنهم الله، وفضح حكومته الزائفة بخروجه عليه قائلاً «إني لم أخرج أشراً، ولا بطراً ولا مفسداً، ولا ظالماً، وإنما خرجت لطلب الاصلاح في أمة جدي، أريد أن آمر بالمعروف وأنهي عن المنكر فمن قبلني بقبول الحق فالله أولى بالحق، ومن رد علي هذا أصبر حتى يقضي الله بيني وبين القوم بالحق، وهو خير الحاكمين»[٤٧]، يعدُّ موقفاً تاريخياً يجب ان يخلد لكونه حجة بالغة في اثبات ظلم بني امية وأتباعهم ومن مهد لهم على ذلك، وهناك ثلاثة عوامل رئيسة تخلد هذه الواقعة وهي:

الأول: فضل موقف الامام الحسين عليه السلام بعدم انحراف الاسلام عن جادته مجرداً عن مظلوميته وما جرى عليه من أحداث مهولة.

الثاني: تعرض قضية الامام الحسين عليه السلام الى محاولات تعتيم وتضليل وتشويه على مر التأريخ، والقتل والتهجير والتعذيب لشيعة اهل البيت عليهم السلام على مر العصور.

الثالث: عظمة مصيبة الامام الحسين عليه السلام التي واجه فيها ما أبكى السماء دماً وما اعظمها من مصيبة تلك التي وصفتها الروايات بلا يوم كيومها[٤٨].

ولذلك يتوافد شيعة أهل البيت عليهم السلام الذين اصبحت من علاماتهم هذه الشعائر الحسينية الى زيارة الامام الحسين عليه السلام لإحياء ذكراه وإثارة انتباه الناس لما قدمه الامام الحسين فضلاً عن تجديد العهد معه سلام الله عليه واستثمار هذا التحشد المليوني في نشر الثقافة الحسينية التي تأسست على نبذ العنف والذل، وشجعت على رفع القيم والمبادئ الانسانية السامية[٤٩].

ان لعاشوراء وزيارة الأربعين سراً لا يفهمه الا ذو حظٍ عظيم، فها هي تمر علينا موسماً بعد موسم، فهي مدرسة ننهل من معينها، فتجدد الايمان فينا وتحفزنا على العمل، وهي مدرسة يتعلم فيها الجميع رجالاً ونساءً، شباباً وأطفالاً وشيوخاً الدروس تلو الدروس، وما أكثر دروس كربلاء التي لا تنتهي. فهذا هو سر زيارة الاربعين التي كانت ولازالت مدرسة عابرة للزمن جاءت الينا من عبق التاريخ لتكون خير دليل ومعين ومبين لتعاليم الاسلام الاصيلة، لهذا كلما انتمينا الى مدرسة عاشوراء، تمثل هذا تعلقاً بالاسلام وحباً بالقرآن والتزاماً بالطاعات[٥٠].

تأتي خصوصية إقامة الشعائر الحسينية في يوم أربعين الامام الحسين عليه السلام المصادف في العشرين من صفر كونها تشكل إحياءً لنهضة الامام الحسين الاصلاحية وتعاليمه الاخلاقية ومبادئه النبوية فإن قضية سيد الشهداء هي التي ميزت بين دعوتي الحق والباطل ولولا نهضة الحسين ووقوفه بوجه الظلم والطغيان الاموي لكاد الاسلام يندثر حتى قيل: الاسلام محمدي الوجود حسيني البقاء، وما قام به الامام الحسين في نهضته الاصلاحية كان امتداداً لدعوة الرسول صلى الله عليه وآله لنشر الاسلام وهو الامتداد الطبيعي للنبي صلى الله عليه وآله بنص حديث الرسول: حسين مني وانا من حسين[٥١].

وتأتي خصوصيتها أيضا في استذكار الفاجعة التي جرت على أهل البيت عليهم السلام في يوم عاشوراء وما صاحبها من المآسي والآلام وتعريف الناس بجور بني امية وأذنابهم. كما تتزامن إقامة الشعائر الحسينية في يوم الاربعين مع ذكرى رجوع الرأس الشريف من الشام الى العراق، ودفنه مع الجسد الطاهر في يوم العشرين من صفر كما جاء في الروايات، وتسمى هذه الذكرى ((مَرَد الراس)) فتقام الشعائر استذكاراً لهذه الحادثة الاليمة فتتجدد الأحزان[٥٢]، ومنذ ذلك اليوم وهو العشرين من صفر أصبح هذا التاريخ مشهوداً فتتوافد مئات الآلاف من الزائرين الى كربلاء لزيارة الامام الحسين وإقامة الشعائر وتجديد هذه الذكرى المؤلمة[٥٣].

قطع محبو أهل البيت عليهم السلام ولا زالوا يقطعون مسافة عشرات أو مئات بل حتى ألفاً وأكثر من الكيلو مترات مشياً على الأقدام لزيارة أبي عبد الله الحسين عليه السلام، مشكلين أكبر مسيرة في العالم أكدتها وسائل الإعلام المحايدة وواجهت التحديات من قبل الإعلام المخالف وافقدت – المسيرة – قدرة التضليل عليها لما لها من شيوع اكتسح الساحة الاعلامية[٥٤].

وهنا يسال السائل ما المغزى من قطع هذه المسافات لزيارة الحسين عليه السلام مشياً على الاقدام؟ فهم يتحملون المصاعب التي قد تودي بحياتهم من قبل المعادين لهذه الشعيرة المقدسة ناهيك عن المجازفة من قبل المريض والمُسن واصحاب الاحتياجات

الخاصة وغيرهم، ما بعث الحيرة في العقل في مصدر هذه الارادة[٥٥].

والجواب على هذا السؤال لا يصعب على من اطلع على واقعة كربلاء التاريخية ولو سطحياً، لان المطلع عليها يلتمس منها مبادئ انسانية وضربة تاريخية شلت الحراك المبتغي حرف الاسلام عن جادته، كيف لا وقد غرس الامام الحسين عليه السلام تلك المبادئ وسقاها بدمائه ودماء أهل بيته عليهم السلام[٦٥].

وعليه فإن المسير مشياً على الاقدام لمسافات طويلة جداً وتحمل المشقة والصعاب، الهدف منه تثبيت هذه المبادئ ولذلك فإن زيارة الاربعين تعتبر جبهة من الجبهات المدافعة عن الانسانية التي تعتمد على سلاح المسيرة السلمية لنقل تلك الرسالة الانسانية.

ثالثاً: المضامين الانسانية والتربوية والاخلاقية في مسيرة زيارة الاربعين

في كل سنة تهل علينا زيارة وملحمة خالدة من ملاحم العشق الحسيني وهي ملحمة عظيمة وعالية المضامين ألا وهي زيارة الأربعين التي تمثل قمة العشق الحسيني، وهذا العشق الحسيني ليس خاصاً بالموالين فقط بل أصبح عشقاً يمتد من الموالين لأهل البيت إلى ديننا الإسلامي ليعم كل البشرية ولتصبح راية الإمام الحسين عليه السلام راية تلتف حولها كل الطوائف والمذاهب والأديان ولتغدو هذه الراية السامية والشريفة راية إنسانية توحد العالم كله من مشرقه إلى مغربه ومن شماله إلى جنوبه وليرتفع الصوت الحسيني الهادر وكل شعاراته ومقولاته في العالم أجمع ولتتخذ هذه الشعارات والمقولات دليلاً ومنهج عمل لكل إنسان يؤمن بقيم ومنطق العدالة والحق ولتصبح شعارات إنسانية ترفع من قبل المظلوم على كل ظالم ومتجبر وطاغي ولتمثل أعلى قيم الانتصار لقيم العدالة والحق على قيم الظلم والباطل[٥٧].

من هنا فإن زيارة الأربعين زيارة إيمانية سامية نورانية المضامين في كل قيمها النورانية وتمثل لكل زائر مؤمن إضافات وإفاضات إلهية عظيمة تعطيه زخماً عالياً في التزود بالأيمان والتوحيد وهي مسألة مهمة يجب أن يتزود منها العبد المؤمن في وقتنا الحاضر في ضوء ما يواجهه المسلم وكل العباد من تحديات تريد النيل من إيمان العبد وحرفه عن وجهة ديننا الحنيف، الدين المحمدي الذي لا لبس فيه ولا غموض وهو دين الحق والإنسانية لتصبح زيارة الأربعين محطة توقف مهمة للمؤمنين في التزود بالنفحات الإيمانية والتمسك بالعروة الوثقى التي لا انفصام لها، ولتصبح غاية الوصول إلى الضريح الشريف لأبي الأحرار سيدي ومولاي أبي عبد الله الحسين عليه السلام وأخيه أبي الفضل العباس عليه السلام ومسير السبايا لأهل بيت النبوة وما ارتكبت فيه من مآسي وفواجع لهذه الذرية الطيبة لأشرف خلق الله هي (عِبرة وعَبرة) وتذكر مسير مواكب الإباء لذراري أهل بيت النبوة وما لاقوه من ظلم وإجحاف بحق هذا البيت السامي وكذلك تذكر كل المواقف الخالدة والشجاعة لعقيلة الطالبيين سيدتي ومولاتي العقيلة زينب عليها السلام[٥٨].

ولتكن هذه الملحمة الخالدة لزيارة الأربعين نقطة مضيئة تشع بتألقها على مدى التاريخ ولتمثل محطة مهمة من المحطات الإيمانية في الفكر الإنساني ولتشكل بؤرة من بؤر وحدة الفكر الإنساني بمختلف أطيافه وأفكاره ولتبقى نقطة في الدين باعتباره محطة مهمة من محطات المحافظة على ديننا الحنيف أراد الطلقاء من بني أمية وبني العباس ومن جاء من بعدهم عبر تاريخنا القديم والحاضر أن يحرفوا هذا الدين العظيم عن مساره ويشوهوا ذلك الدين العظيم الذي أتى به خير خلق الله نبينا الأكرم سيدنا ومولانا محمدﷺ برسالة محمدية سامية وعظيمة المعاني في الإنسانية والفكر لذا حاول كل النواصب والمبغضين لأهل البيت من سلالات مجرمة محو هذه الرسالة بالقتل والذبح والسبي وممارسة أعلى قيم الإجرام والوحشية بكل خسة ولؤم وقذارة ولكن يأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون[٥٩].

بقيت «فاجعة كربلاء» خالدة إلى يوم القيامة، عند كلّ مجتمع يمتاز بالوعي والإدراك، وفهم المفاهيم والقيم الإنسانية، وكلّما ازداد البشر نُضجاً وفَهماً أقبل على دراسة وتحليل هذه الفاجعة بصورة أوسع، والتفكير حولها بشكل أشمل، والكتابة عنها بتفصيل أكثر. وقد شاء الله تعالى أن يبقى هذا الملفّ مفتوحاً لدى العقلاء المؤمنين، ويُجدّد فتحه في كل عام، بل في كل يوم، لتحليل ودراسة جزئيّات هذه الفاجعة.

ومن هنا نلاحظ إن مشاية الأربعين لهذه الزيارة الخالدة في ازدياد وقد حاول كل الطواغيت على مر التاريخ إطفاء جذوة هذه الزيارة من خلال القمع للزوار وقتلهم والتمثيل بهم بأسلوب التهديد المجرم والذي يخلو من إي مضامين إنسانية وبشرية من الطواغيت في الأولين والآخرين لأن يزيد ومعاوية وبني أمية موجودون في كل زمان ومكان وما يحدث من فواجع وإرهاب وقتل على الهوية من قبل الإرهابيين من داعش القاعدة ومَنْ لَفَّ لفهم لهو خير دليل على ما نقول. ولهذا كان من الضروري التأكيد على إيمانية هذه الزيارة وإنسانيتها وأنها زيارة سلمية بحتة تدعو إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأن غايتها ترسيخ قيم الإيمان والتوحيد وتركيز العقائد الإسلامية للرسالة المحمدية الصحيحة[٦٠].

ولذا جاءت توجيهات مرجعيتنا الرشيدة ممثلة بسماحة المرجع الأعلى آية الله السيد علي السيستاني (دام ظله الوارف) التي تدعو إلى المحبة والتسامح والتي نقتبس جزءً منها حيث أكد سماحته:

«وعليه فإنّ من مقتضيات هذه الزيارة: مضافاً إلى استذكار تضحيات الإمام الحسينؑ في سبيل الله تعالى هو الاهتمام بمراعاة تعاليم الدين الحنيف من الصلاة والحجاب والإصلاح والعفو والحلم والأدب وحرمات الطريق وسائر المعاني الفاضلة لتكون هذه الزيارة بفضل الله تعالى خطوة في سبيل تربية النفس على هذه المعاني تستمر آثارها حتى الزيارات اللاحقة وما بعدها فيكون الحضور فيها بمثابة الحضور في مجالس التعليم والتربية على الإمامؑ»[٦١].

وأكد أيضاً: فالله الله في الصلاة فإنها كما جاء في الحديث الشريف عمود الدين ومعراج المؤمنين إن قُبلت قُبِلَ ما سواها وإن رُدّت رُدَّ ما سواها، وينبغي الإلتزام بها في أول وقتها فإنّ أحبّ عباد الله تعالى إليه

أسرعُهم استجابة للنداء إليها، ولا ينبغي أن يتشاغل المؤمن عنها في اول وقتها بطاعةٍ أخرى فإنها أفضل الطاعات، وقد ورد عنهم عليهم السلام: (لا تنال شفاعتنا مستخفّاً بالصلاة). وقد جاء عن الإمام الحسين عليه السلام شدّة عنايته بالصلاة في يوم عاشوراء حتى إنّه قال لمن ذكرها في أول وقتها: (ذكرت الصلاة جعلك الله من المصلّين الذاكرين)[٦٢].

ولهذا كانت الصلاة من اهم ألأمور التي يجب التركيز عليها في كل زيارة من زياراتنا لأنها تمثل الوسيلة التي تقربنا إلى الله سبحانه ولأنها كانت من الأمور التي أكد علينا أهل بيت بدءاً من نبينا الأكرم محمد صلى الله عليه وآله وإلى باقي أئمتنا المعصومين عليهم السلام وكانت من وصاياهم في التأكيد على الصلاة ووجوب على إقامتها في وقتها وبشروطها، ولهذا بادرت مرجعيتنا الرشيدة بإقامة محطات إيمانية للجواب على استفتاءات الزوار وتعلميهم كل الأمور التي تخص الزيارة والتي وجهت بها مرجعيتنا الرشيدة وأهمها الصلاة وحتى قام المبلغون بتلقين الزائر كيفية إقامة الصلاة وكذلك قراءة سورة الفاتحة وقسم من السور لكي تقبل صلاته لأنها إن قبلت قُبلَ ما سواها وان ردت رد ما سواها، وهذه من أبلغ الدروس والمواعظ الإيمانية في أن مذهب أهل البيت هو قائم على الدين المحمدي الأصيل الذي جسده خير تجسيد أئمتنا المعصومون عليهم السلام والموالون[٦٣].

ان ظاهرة وممارسة الزيارة المباركة فرصة التعبير الحر عن الهموم والمآسي التي تواجهها الامة والتي غالباً ما يتم تجاهلها من قبل الاعلام العالمي. ولا تحظى بتفاعل المجتمع الدولي نتيجة النفاق السياسي وجفاف المبادى الانسانية داخل منظوماتها الحاكمة. ان الظلم الذي تتعرض له الامة الاسلامية ولاسيما اتباع أهل البيت عليهم السلام يشبه طوفاناً من الشر المتطاير بالعدوان والمكر والخبث. ظلمٌ لم يترك مسرباً من مسارب الحياة الا وخنقه مما يحتم على الامة ان تعبر عن ظلامتها بحجم ماحلَّ بها وان كان ذلك من المستحيل. فما حلَّ من ظلم خارج نطاق التعبير، وليس ثمة وسيلة للتعبير الجماهيري عن هموم الأمة وشكواها مثل وسيلة زيارة الاربعين المباركة حيث يتسنى للشعوب وللافراد اطلاق الشكوى بنحو جماهيري يسمعه العالم[٦٤].

فزيارة أربعينية الامام الحسين عليه السلام تكشف عن حالة من التعافي الايجابي الكبير في جسد أتباع أهل البيت عليهم السلام في حقل السلوك الاجتماعي حتى أمكن القول ان ظاهرة زيارة الاربعين تمثل عاملاً اخلاقياً لانتاج السلوك الايثاري، ومختبرات عظيمة لفحص واختبار ودراسة السلوك الانساني المتعلق بالبذل والتعاون وتقديم المساعدة الى الاخرين. وتمثل زيارة الاربعين مهرجاناً انسانياً عظيماً للتلاقي الحضاري والتعارف الثقافي الإيجابي، سواء كان بين الحضارات والثقافة الواحدة أو بين حضارات وثقافات متنوعة، مهرجاناً تنظمه الجماهير المؤمنة بنفسها ولا تتدخل السياسة والانتماءات العرقية والفئوية في نشاطاته على الاطلاق، وإن أغلب المشاركين في ممارسة زيارة الاربعين هم من أصحاب الثقافة التي تصنف على انها ثقافة جمعية شديدة الترابط بين اعضائها، ويلاحظ بان الناس ولاسيما المتطوعين لخدمة الزائرين يسعون لتقديم المساعدة الى الغرباء بالدرجة الاولى ويتفانون

في البذل والاستجابات الانسانية الطيبة دون ان يلتفتوا الى هوية الاخرين.

إن حالة الانغلاق في ممارسة السلوك الاجتماعي الايجابي متمثلة في سلوك جمهور زيارة الأربعين فالانفتاح على مساعدة الآخرين عند هذا الجمهور حالة الى مقاربة دراسية مستقلة، لما فيها من حقائق ومعطيات هامة. وبما ان السياق قد وصل بنا الى هذه المسألة مع تطلع الجميع الى غفران الذنوب ببركة زيارة سيد الشهداء وهو تطلع موضوعي وعدت به العديد من النصوص الشرعية، والمحصلة لزيارة الاربعين هي ان عملية المشي ضمن اطار ممارسة الزيارة تتضمن العناصر والابعاد النفسية التي هي في غاية الاهمية وهي في الجملة من الممارسات التفاعلية وليس عملية جسمية صامتة تعتمد على حركة الرجلين واليدين، حيث تشترك العناصر العقلية والنفسية المتانة عن التواصل مع الله والاخرين في مشهد تفاعل مستظل بمناجاة السماء ومكسو بطهر التراب الملامس لأقدام الزائرين ومضمَّن بأنفاس عشاق كربلاء مع تردد موسيقى الندب الولائي الهادرة في أجوائه بـ(ياحسين). تشترك كل تلك الاشياء لتمنح هذه الممارسة طابعاً روحياً متميزاً غير قابل للتقليد والاستنساخ ولا تعرض عليه ما تعرض على الممارسات الحياتية من قبل الاشباع والملل والقدم، وهي في الوقت نفسه وصفة علاجية مجربة للعديد من امراض الروح.

وابرز معطيات هذا الارث لزيارة الاربعين قد حانت مع لحظة انطلاق الفتوى المقدسة حيث وجدنا عبر التتبع الدراسي ان معظم المتطوعين من الحشد الشعبي هم من الجمهور الحسيني ولاسيما جمهور ثقافة زيارة الاربعين المباركة فان الحشد الذي نشهده في مسرح زيارة الاربعين العظيمة هو نفس الحشد الذي استجاب لنداء المرجعية الشريفة فقد انعكست بركات هذه الزيارة بالذات على تحشيد أبناء الحشد ومواصلة تدفق الزخم المعنوي والمادي لديهم بنحو ملفت للغاية[٦٥].

الخاتمة

إن إحياء الشعائر الحسينية وتقوية المجالس تمثل الطريق الناجح لبناء الاستقرار الاخلاقي والنفسي للشخصية الانسانية، كما أنها تشكل حصناً منيعاً للحفاظ على الهوية الاسلامية أمام عواصف العولمة ورياحها العاتية، كما فعل سيدنا وامامنا الخالد الحسين بن علي عليه السلام حين وقف ضد الظلم الاموي وقدم روحه وأرواح ذويه وصحبه الأكرمين قرباناً على مذبح الحرية في سبيل الله.

فقد اعطى الامام الحسين عليه السلام لله تعالى كل شيء وبلا حدود وقدم التضحيات التي لم يشهد التاريخ ولن يشهد مثيلاً لها، فكان عطاؤه بلا حدود وبلا نهاية فكان علينا ان يكون عطاؤنا للامام الحسين عليه السلام ومشاركتنا ومواساتنا بلا حدود وحتى نكون بمستوى الحب والولاء للعظمة الحسينية.

ان العظمة التي نجدها في الامام الحسين عليه السلام لا نجدها في أي شخص آخر على مر التاريخ، وهذه العظمة انما جاءت لأن الامام الحسين عليه السلام تفانى في الله. وان هذه العظمة هي عظمة الهية لذا تكون باقية. إذن عظمة سيد الشهداء الامام الحسين عليه السلام هي من عظمة

الله (سبحانه وتعالى) فعلينا ان نربط أنفسنا بالله وبهؤلاء الاطهار الذين ارتبطوا بالله سبحانه وتعالى.

قد لمسنا آثار تأثير انشطة زيارة الاربعين على المشاركة بنحو لا يقبل الشك وانها المصداق الاكبر لترجمة المضمون المتقدمة فشعاراتها ونشاطاتها وتداعياتها التي تملأ زمان ومكان الممارسة تعمل على تحذير الولاء في وجدان وعقل الانسان الموالي وتهبه زخماً هائلاً من الاصرار والثبات والمقاومة.

وما بقاء جمهور اتباع اهل البيت عليهم السلام في الحياة وحضوره الفاعل واعتراف الاخر بقوة دوره الا من بركات حزمة من الاسرار الالهية والتخطيطات الحكيمة لقادة التشيع وزيارة الاربعين المقدسة واحدة من بين تلك الاسرار الالهية العظيمة التي جسدت جميع من اثار وبركات.

ان زيارة الاربعين تقودنا الى القول بان هذه الممارسة المباركة قد تحولت الى استعراض موسمي للعزة والعدل والحرية، استعراض يفصح عن الحالة الثورية والفدائية لعشاق سيد الشهداء عليه السلام بنحو سلمي لا اثر فيه للعنف والكراهية والتحريض، بل أن أدواته وشعاراته سلمية انسانية مستفيدة بالضوابط الشرعية والقانونية وملتزمة بوسائل التعبير المتحضرة. انها ثورة اخلاقية لا يمكن احصاؤها من شأنها ان تسعف الانسان المعاصر من أخطار الأزمة الاخلاقية التي تعصف به منذ قرون.

السلام عليك يا أبا عبد الله وعلى الأرواح التي حلت بفنائك، السلام عليك يوم ولدت ويوم استشهدت ويوم تبعث حياً.

الهوامش

(١) الصدوق: أمالي الصدوق، ص٣٠٤-٣٠٥.

(٢) فضل الله: الندوة، ٤/ ٥٦.

(٣) المصدر نفسه والصفحة.

(٤) الكليني: الكافي، ١/ ٢٥.

(٥) فضل الله: الندوة، ٤/ ٥٨.

(٦) المجلسي: بحار الانوار، ٤٤/ ٦٦٩.

(٧) سورة النحل: آية ٩٠.

(٨) سورة النحل: آية ٩١.

(٩) سورة الحشر: آية ٧.

(١٠) فضل الله: الندوة، ٦/ ٢١١

(١١) المجلسي: بحار الانوار، ٤٤/ ٣٨٢

(١٢) الخوارزمي: مقتل الحسين، ١/ ١٨٨.

(١٣) فضل الله: الندوة، ٣/ ١٥٨.

(١٤) المصدر نفسه والصفحة.

(١٥) الطبري: تاريخ، ٣/ ٢٨٠.

(١٦) سورة البقرة: آية ١٤٣

(١٧) سورة البقرة: آية ١٤٣

(١٨) سورة الاحزاب: آية ٢١.

(١٩) الكليني: الكافي، ١/ ٧١.

(٢٠) المصدر نفسه، ١/ ٥٤.

(٢١) المصدر نفسه والصفحة.

(٢٢) المجلسي: بحار الانوار، ٧٢/ ٣٨.

(٢٣) ابن اعثم: الفتوح، ٥/ ١٤؛ الطبرسي: اعلام الورى، ١/ ٤٣٥. ويزيد ليس فقط شارب الخمر المحرمة وانما مدمن عليها. ينظر: الجاحظ: التاج، ص١٥١؛ الذهبي: دول الاسلام، ١/ ٢٩.

(٢٤)ابن نما: مثير الاحزان، ص١٥.

(٢٥)الكليني: الكافي، ١/ ٥٤.

(٢٦)الحراني: تحف العقول، ص ١٧٤.

(٢٧)الكليني: الكافي، ٥/ ٥٥؛ ومما يؤثر عن أمير المؤمنين عليه السلام: ((لا تتركوا الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فيولى عليكم شراركم ثم تدعون فلا يستجاب لكم)). ينظر: نهج البلاغة، ٢/ ٨٦.

(٢٨)ابن الاثير: الكامل، ٣/ ٥٠٨.

(٢٩)ابن عبد ربه: العقد الفريد، ٤/ ٣٨٠؛ الخوارزمي: مقتل الحسين، ٢/ ٥.

(٣٠)الحراني: تحف العقول، ص ١٥٠ – ١٥١.

(٣١)الشاهرودي: الثورة الحسينية، ١/ ١٠.

(٣٢)الصدر: محمد صادق، أضواء على ثورة الحسين عليه السلام، ص١١٢.

(٣٣)الطويل: تاريخ العلويين، ص٤٤.

(٣٤)القرشي: حياة الامام الحسين بن علي، ١/ ١٤-١٥.

(٣٥)الحلي: معالم المنهج الاصلاحي، ص ١٢٢.

(٣٦) البيشوائي: سيرة الائمة الاثني عشر، ص ١٤٤.

(٣٧)المطهري: الملحمة الحسينية، ص ١٠٥.

(٣٨)المقرم: مقتل الامام الحسين عليه السلام، ص ٢١٧.

(٣٩)المدرسي: الامام الحسين عليه السلام مصباح هدى وسفينة نجاة، ص ١٢١.

(٤٠)الحلي: معالم المنهج الاصلاحي، ص ١٤٤.

(٤١)القرشي: موسوعة، ١٣/ ٢٩٨.

(٤٢)صبحي: نظرية الامامة، ص٢٩١.

(٤٣)المدرسي: الامام الحسين عليه السلام، ص ١٢٦.

(٤٤)المصدر نفسه والصفحة.

(٤٥)الحلي: معالم المنهج الاصلاحي، ص ١٤٦.

(٤٦)مجموعة باحثين: عاشوراء النص والوظيفة، ص ٤٠٣.

(٤٧)القرشي: حياة الامام الحسين بن علي، ١/ ١٤-١٥.

(٤٨)محمد مهدي الآصفي: عاشوراء الحدث والمعنى، ص٩٣.

(٤٩)الحلي: معالم المنهج الاصلاحي، ص ١٤٧.

(٥٠)المدرسي: الامام الحسين عليه السلام، ص ١٢٧.

(٥١)المطهري: الملحمة الحسينية، ص ١٠٥.

(٥٢)المصدر نفسه والصفحة.

(٥٣)المدرسي: الامام الحسين عليه السلام، ص ١٢٨.

(٥٤)الآصفي: عاشوراء الحدث والمعنى، ص٩٧.

(٥٥)المصدر نفسه، ص ٩٨.

(٥٦)الحلي: معالم المنهج الاصلاحي، ص ١٤٩.

(٥٧)المصدر نفسه والصفحة.

(٥٨)الاسدي: المواقف الاجتماعية، ص١٤٤.

(٥٩)المدرسي: الامام الحسين عليه السلام، ص ١٢٦.

(٦٠)المصدر نفسه، ص ١٢٨.

(٦١)الحلي: معالم المنهج الاصلاحي، ص ١٥٠.

(٦٢)الاسدي: المواقف الاجتماعية، ص١٤٥.

(٦٣)الآصفي: عاشوراء الحدث والمعنى، ص٩٩.

(٦٤)الحلي: معالم المنهج الاصلاحي، ص ١٥٥.

(٦٥)الآصفي: عاشوراء الحدث والمعنى، ص٩٩.